النشاط الثقافي في الوطن العربي

لبنان

١ . تجربة الجمعيات الادبية ..

اصبحت قصة « القلم » في لبنان قصة مضحكة ، بعد الانشقاق الذي حدث في جمعية « اهل القلم » والذي ادى الى خلق جمعيتين احداهما شرعية والاخرى غير شرعية ؛ ولكن هذه الأخيرة تتشبث بشرعيتها وتنتخب لها رئيساً ، وتظهر بالمظهر الذي يوهم الناس بأنه معقول ومقبول ..

والحق يقال ان النشاط الذي تبذله الجمعية الشرعية هو من الضآلة بحيث يطغى عليه نشاط الجمعية غير الشرعية ، وان كان النشاط في كلتيهما لا يتعدى المظاهر والحفلات والزيارات ..

والواقع ان النشاط الادبي في لبنان لا ينتظر الجمعيات القلمية حتى يعلن عن نفسه ويكشف عن انتاجه ؛ فانه في معظم الاحيان فردي ، وهو يظهر في هذا النتاج الضخم من الكتب المؤلفة والمترجمة ، في شتى الوان الادب ، من بحث وشعر ودراسة وقصة ورواية ... ولاشك في ان المجلات الأدبية ودور النشر ، التي لا يعرف اي قطر عربي آخر مثلها في العدد والمادة ، تقود هذا النشاط الادبي الذي يجعل من لبنان مركزاً رئيسياً للحركة الادبية الفعالة في جميع اجزاء الوطن العربي .

واذن ، فلعل تأليف الجمعيات الادبية في لبنان تقليد مخفق من اساسه . فقد عرف هذا البلد ، على ممر الايام ، عدة جمعيات ادبية لم تستطع احداها ان تعيش اكثر من عام او عامين . ولا حاجة بنا الى ذكر اسماء هذه الجمعيات ، فان من اوتي بعض الاطلاع على الحركة الادبية عندنا ، يستطيع ان يتذكرها بسهولة .

والحق ان هذه الجمعيات لا تملك ان تؤثر اي تأثير داخلي على الانتاج الأدبي . وهي حتى حين تشجع ، لا تفلح في تشجيع ما ينبغي تشجيعه : وقصة الجوائز التي منحتها جمعية اهل القلم في عهدها الاول دليل واضح على ذلك ؛ فهي قد منحت تلك الجوائز بغير الدوافع التي كان ينبغي لها ان تنساق بها . فأتى توزيعها لهذه الجوائز ضرباً من المساومة والارضاء والنفاق ، واعطت بذلك مثلا على الابتعاد عن التجرد والنزاهة ، وهما الصفتان الرئيسيتان اللتان ينبغي ان يتحلى بهما مؤرخو الادب ورعاته .

ونحن نقرأ اليوم ان في لبنان ، منذ سنوات ، فرعاً لنادي القلم الدولي Pen Club يبذل نشاطه باستمرار . ولكننا نستطيع ان نؤكد ان هذا النشاط لا يتكشف عن اي تأثير في مجرى الحياة الفكرية عندنا ، فلعله هو الآخر قاصر على الولائم والمآدب ، والا فأين الآثار الفكرية التي انتجها او كان سبباً في انتاجها ؟

وبعد ألا نستطيع ان نستنتج من هذه الظاهرة او من هذه التجربة الفاشلة ، تجربة الجمعيات الادبية في لبنان ، ان طبيعة الادب العربي في لبنان تستعصي على الاطارات المقيدة ، وتطلب الحرية والانطلاق ، ولا تؤمن الا بالانتاج الذاتي التلقائي الذي ينهض وحده دليلا على الخصب والفعالية ؟

٢ . مهرجانات بعلبك

شجعت الحكومة اللبنانية ، بواسطة مصلحة السياحة والاصطياف ، إقامة مهرجان عالمي في قلعة بعلبك تدعى الى احياء حفلاته فرق عالمية تمثل اكبر العبقريات الموسيقية والمسرحية والتمثيلية .

وقد استمع اللبنانيون ، وغير اللبنانيين ممن زاروا هذا البلد في هذا الصيف ، الى أروع القطع الموسيقية ، من النتاج الكلاسيكي والنتاج المعاصر على حد سواء ، وشاهدوا تمثيليات مشهورة قدمتها فرق مسرحية مشهود لها بالكفاءة في العالم ، فاستمتعوا بجو من الفن الرفيع لم يكن متاحاً لهم من قبل .

ومن شأن هذه المهرجانات السنوية ان تجعل من لبنان مركزاً من مراكز النشاط الفني في العالم ، وان تجذب اليه مختلف الوان الانتاج الفني الذي تتفتح عنه عبقريات الامم والشعوب . ولا شك ان ذلك يساهم في ارهاف الذوق الفني لدى الجمهور ، ايا كان البلد الذي ينتمون اليه .

على ان ذلك لا يمنع من القول ان هذا المهرجان يشكو نقصاً هاماً ، هو انه يقتصر على الفن الأجنبي ، ولا يحاول ان يشجع الفن العربي ، هذا الفن الذي يحتاج الى اطار رفيع يمكن له ان يتفوق على نفسه ويقدم الواناً قيمة من وحي الارض العربية .

ويحق لنا ان نتساءل : لماذا لا تفكر الحكومة بان تستقدم من مصر مثلا محمد عبد الوهاب مع فرقته الموسيقية لتقديم بعض قطع هذا الموسيقي العربي الموهوب بل لماذا لا ترغب اليه في انجاز اوبرا مجنون ليلى في هذا الاطار الفني التاريخي ؟ ان ليلة او ليلتين تحييها فرقة عبد الوهاب بقيادته جديرتان بان تكسبا الموسيقى العربية الحديثة طابعاً عالمياً وان تجتذبنا الى لبنان الوفاً من المصطافين .

ومثل هذا يقال في استقدام فرقة مسرحية رفيعة تقدم بعض آثار ادبية من انتاج المؤلفين العرب ، كبعض مسرحيات توفيق الحكيم وسواه .

هذا بصرف النظر عما يكمن في هذا العمل من شعور الاعتزاز القومي .

٣ . محطة « الشرق الادنى » ايضاً ..

سبق لهذه المجلة ، في اجزاء عديدة ماضية ، ان تحدثت عن السموم التي تبثها « محطة الشرق الادنى للاذاعة العربية » في اسماع العرب الذين يصغون الى برامجها المختلفة . وان اخطر هذه السموم ما يمت الى التعليقات السياسية على الشؤون العربية .

ان برامج الترفيه الغزيرة التي تذيعها هذه المحطة كل يوم ، ليس من شأنها ، في هذه الفترة الدقيقة من تاريخ القضية العربية ، الا ان تصرف الناس عن الاهتمام بالقضايا الخطيرة التي تواجه بلادهم وتتعلق بمصيرهم كله .

وصحيح ان هنالك بعض البرامج المفيدة والمثقفة ، ولكنها انما تذاع لتكون حجة على ان هذه المحطة تقصد الى فائدة المستمع العربي . ولكن لا يخفى على احد ان هذه البرامج هي بمثابة « تمويه » و « تغطية » لبرامج اخرى وللتعليقات السياسية اليومية . وقد عمدت المحطة منذ اشهر الى استكتاب بعض الصحفيين اللبنانيين وغير اللبنانيين لتعليقاتها اليومية ، ولكن هذا لم يضع حداً لتعليقات « مراسلنا الدبلوماسي » ، هذا اللقب الذي تتستر به المحطة لاذاعة كل ما ينافي المصالح العربية ويشكك في اهميتها . إن هذه التعليقات ملأى بالدس والسموم وقد كان معظمها ينصب في الشهر الماضي على قضية قناة السويس . وان بريطانيا

النشاط الثقافي في الوطن العربي

لتستطيع ان تدس في مثل هذه التعليقات بضع كلمات تضر بالصالح العربي .

اننا نناشد الادباء والفنانين العرب مرة اخرى في مقاطعة المحطة (ومحطات اخرى كراديو لندن وباريس وصوت اميركا الخ ...) ونطلب من الحكومة اللبنانية ان لا تسمح بان يقوم في ارض لبنان العربية المركز الرئيسي لهذه المحطة التي تدس على القضية العربية لصالح مولتها بريطانيا .

« الآداب »

سوريا

لمراسل « الآداب » سعد صائب

القصة السورية في الميزان

لا نكران أن مجلة « النقاد » هي المجلة الوحيدة التي تعنى بشؤون الأدب في سورية ، فكما تعتمد على نتاج الأدباء السوريين وحدهم دون سواهم من ادباء العربية ، نراها في الوقت ذاته تنشط لحل مشكلات هذا النتاج ، وتهيء له سبل الانعتاق من ربقتها ، كيما تحفظ له طابعه ومقوماته ، وتجهزه تجهيزاً كاملا لمواجهة التيارات الغالبة عليه ! .

ولعل ما يشغل ادباءنا حقاً ، ويوقظ شعورهم ، قضية « القصة القصيرة » عندنا ، وهي من جملة القضايا الأدبية العديدة التي تواجهنا اليوم ، والتي ما انفكت تصطدم بعقبات تكاد تهبط بها عن مستواها ، وتفقدها ميسمها ، وتنحرف بها عن الاتجاه الفني الاصيل الذي يرجوه لها « الذين يكتبونها ، والذين يتذوقونها ، والذين ينقدونها » ولذلك حاولت « النقاد » في استفتائها الذي وجهته الى جمهرة من ادبائنا ، أن تقف معهم على حقيقة الداء الذي تعانيه قصتنا ، وان تتعرف واياهم على العوامل والمؤثرات التي تحول دون تقدمها ولقد تناول الأديب الدكتور صباح القباني في جوابه « شخصية قصتنا » ومما اورده قوله بهذا الصدد : «كنت أحب أن اسأل عن القصاصين لا عن القصة ، فلدينا قصاصون سوريون ، ولكن ليس لدينا قصة سورية .. القصة عندنا لم تتضح شخصياً بعد ، ولم تتخذ لها ملامح خاصة ، أو إن شئت فقل رائحة خاصة يتنسمها القارئ ويقول : هذا طيب سوري ... فؤاد الشايب البس المواضيع السورية اردية غربية فكانت على مثالنا : سوريون عرب يرتدون «البرنيطة» عبد السلام العجيلي عالج القصة معالجة من يريد أن يبعد عن قلمه مسحة العالم الطبيب ، فكانت حلول اكثر قصصه ميتافيزكية متصوفة . القصاصون الشباب اهتموا بالواقعية وظنوا أنها تعني التفاصيل الكثيرة ، حتى بدا انتاجهم وكأنه قطعة من جريدة ، اذ غاب عنهم ، ان روعة العمل الأدبي الواقعي ، لا تأتي من سرد التفاصيل اليومية ، ولكن من طريقة تسجيل هذه التفاصيل ، والخروج منها بالصورة المعبرة التي تخلق الجو في ذهن القارئ .. كل هذا يدل أن قراءة الانتاج القصصي في سورية لا تعطي فكرة موحدة عن القصة السورية ، وإنما يخرج القارئ بمفارقات كثيرة في شخصية ومعالم هذه القصة » ولكن الأديب القباني لم يرد أن يقف عند حدود تشاؤمه من القصة ، وهو الذي ود لو يسأل عن القصاصين ، لذلك نراه يستدرك في جوابه ، او لنقل يبدد هذا التشاؤم الذي يساوره من واقع قصتنا ، فينتقل الى الحديث عن القصاصين انفسهم ليبدي اعجابه ببعضهم ، ويعلن عن رأيه في تفوقهم وابداعهم .. ففؤاد الشايب « يظل الرائد الأول للقصة في سورية ، وكم هي كبيرة تلك السعادة التي غمر بها قراءه القدامى ، وشباب هذا الجيل الذي لم يسعد بقراءة انتاجه القديم ، حين أعلن في المدة الأخيرة انه سيطلع بعد صمت ادبي طويل ، برواية جديدة خلال الشهر القادم ، اطلق عليها اسم « اوراقي » .اما عبد السلام العجيلي فانه يمثل عنده الصدارة « بقصصه التي تشع ثقافة وذكاء ، والتي من الواجب أن تترجم الى اللغات الاخرى لأنها خير مجد للادب السوري » . اما القصاصون الشباب فاعجابه بهم كبير ، ولكنه يعتقد أن النتاج الذي قدموه منذ سنوات كان أفضل بكثير من انتاجهم الأخير « واخشى أن يكون ذلك نتيجة للقيود التي كبلوا بها فنهم والتزموها ، لا لشيء الا لأنها تنسجم مع المبادئ التي اعتنقوها فكان أن ضحوا بالفن من أجل العقيدة السياسية » .

اما الأديب محمد حيدر ، فقد بدأ جوابه بمفهوم خاص للقصة القصيرة وكاتبها هو : (ايقاف تيار الزمن النفسي لشخص ما ، واقتطاع لحظة معينة من حياته النفسية ، وان يعمد الفنان الى ابراز هذه اللحظة بالعمق لا بالاتساع) وحين جرب أن يطبق مفهومه على كتابنا القصصيين ، راعه أنه لم يجد حتى ولا شبه بداية ، يستشف من خلالها معالم قاص مبدع ، اللهم الا اثنين هما الدكتور عبد السلام العجيلي ، ومطاع صفدي .. اما عبد السلام فيحتل الصدارة في عالم القصة ، لا في سورية بل في البلاد العربية ، حيث نلقى عنده التعبير الفني الجميل .. وعبد السلام لا يجاريه كاتب آخر في هذا المضمار .. ونلقى عنده ايضاً التجربة ، وقد تكون تجربته بالذات ، ولكننا لا نلمح فارقاً بين تجربته الفردية ، وبين التجربة التي يتبناها كموضوع لقصته .. وعبد السلام يمثل القصه بمعناها (الكلاسيكي) .. معناها الصرف .. اما مطاع صفدي فيمثل القصة بشكلها المعاصر ، ويحتل المكان الثاني بعد العجيلي .. ان مطاع يمثل بعمق تعريفنا للقصة ، يسنده في ذلك ثقافة ضخمة يستخدمها بمهارة في قصصه) .

ويرجع الأديب عادل ابو شنب فشل القصة عندنا ، الى عدة أسباب ، اهمها في رأيه ، سوء التناول الفني ، معللا ذلك بأن المحاولة المبذولة حتى الآن في القصة القصيرة « كانت محاولات تلمس سلامة فنية .. وقد قرأنا قصصاً أقرب الى الريبورتاج منها الى القصة القصيرة » كما لفت الإنتباه الى الإساءة التي لحقت القصة السورية ، من جراء تأثر بعض القصاصين السوريين ببعض القصاصين المصريين « ... ذلك لأن القصة المصرية ما تزال حتى الآن تحاول في الصياغة الفنية اولى محاولاتها ، فتأثر بعض القصاصين السوريين بها ، على اعتبار انها بلغت الكمال » منوهاً بما اعطى هذا التأثير من نتائج غير طيبة ، وطريقاً خاطئة للوصول ، على حد قوله ! .

اما الأديب حنا مينة ، فمتفائل اشد التفاؤل ، اذ يعلن في مطلع جوابه أن القصة في سورية بخير ، محذراً من الخوف عليها من الفشل ، او حتى التشكيك « في امكانيات الارتفاع بها الى مستوى القصص العالمي في يوم قريب » ولكنه يشير في الوقت ذاته الى الانتكاسات التي اصابتها خلال المراحل التي مرت بها في تطورها ، من اسلوب الحكاية الى اسلوب القصة في مفهومها الحديث ، (والانحرافات التي خرجت بها عن قصدها السوي فاخضعتها مرة الى مفهوم مبتذل في الحادثة الغرامية ، وجمدتها أخرى في مفهوم خاطىء للواقعيين ، ثم هبت عليها رياح (المدرسة الحديثة) التي تعتمد على التكنيك ، باكثر مما تعتمد

النشاط الثقافي في الوطن العربي

على الواقعة ، حتى ليخيل الى قارئي بعض قصصنا في السنوات الأخيرة ، انه امام مخطط هندسي ، لا امام واقعة فيها دفقة الحياة وحرارتها ! .)

مجلة الحوليات الاثرية

تحتل مجلة « الحوليات الأثرية السورية » مكاناً بارزاً مرموقاً لدى علماء الآثار في الشرق والغرب ، لنشرها المكتشفات الأثرية ، وشرحها الأعمال الفنية التي تقوم بها مديرية الآثار العامة . وقد صدر العدد الأخير (—المجلدان الرابع والخامس) طافحاً بالبحوث والمقالات القيمة ، باللغات العربية والانكليزية والفرنسية والالمانية ، منها بحث في (الاشياء الأثرية المكتشفة في مقبرة من العهد الروماني) بقلم الدكتور سليم عادل عبد الحق ، وبحث بعنوان (الكنز الذهبي) بقلم الأستاذ ابو الفرح العش ، وبحث عن (قلعة دمشق) كتبه الأستاذ عدنان البني ، وبحث عن (حفريات الرقة) بقلم الأستاذ نسيب الصليبي ، كما ضم العدد مختصرات مترجمة عن مقالات وتقارير كتبها علماء الآثار الغربيون منها (تقرير عن حفريات في الرصافة) تلخيص الدكتور كامل عياد ، و (تحريات تاريخية وأثرية) ترجمة الدكتور جورج حداد ، و (التنقيبات الأثرية في الجزيرة) ترجمة الدكتور نورالدين حاطوم، الى غير ذلك من البحوث والمقالات التاريخية القيمة والصور والخرائط الموضوعة .

ونخال أن إجماع علماء الآثار قد انعقد على استيعاب هذه المجلة الثقافية الأثرية في سورية ، واندفاعها فيها ، واشتراكها اشتراكاً ايجابياً في خلقها وتعميمها وتعريف الأوساط العلمية بها ! ..

مصر

لمراسل « الآداب » رجاء نقاش

ألف ليلة ... من جديد

الأساطير القديمة ميراث أخذه عالمنا المعاصر عن حضارات عظيمة صنعها الإنسان في عصوره المختلفة ، وعصرنا ليس عصر أساطير ، ولكنه عصر يعتمد على العقل ويعتمد على العلم والمنطق في مواجهة كل مجهول ، فالأساطير وليدة تلك العصور التي كان العقل الإنساني يناضل فيها بلا سلاح واضح ضد قوى عظيمة هائلة غير مفهومة ... كان يناضل الطبيعة التي كانت تدهشه وتخيفه بتقلباتها ومواليدها دون أن تقدم له تفسيراً لشيء ، وكان يناضل غرائزه التي تفرض عليه العمل ، ولا توضح هدف هذا العمل ، فهو يحس بحاجته إلى الطعام والتناسل دون أن يعرف هدفاً لشيء من ذلك ... وهنا كانت الأساطير تسر له بعض الشيء ما غمض عليه ، وهي في الحقيقة لم تكن تفسر هذا الغموض الصورة التي نفهمها اليوم من التفسير العلمي والمنطقي ولكنها تغنيه عن عجزه عن الوصول إلى تفسير يرتضيه العقل ويحتاج إليه .

في مثل هذه الظروف ولدت الأساطير في الحضارات المختلفة ، وكلما كانت هذه الأساطير منتسبة لمجتمعات أكثر قدماً كلما كانت أكثر اتصالا بصراع الإنسان مع الطبيعة وصراعه مع الغريزة ، أما إذا كانت أساطير متصلة بعالم حديث نسبياً فإن هذا الصراع يضاف إليه لون آخر هو صراع الفرد مع المجتمع والقوى المسيطرة فيه من ملوك وسادة ... وقد امتصت الأساطير على اختلاف مضموناتها من القوى الوجدانية والذهنية للإنسان عناصر كثيرة ضمنت لها البقاء الذي يتجدد مع تجدد الحياة الإنسانية ، وأصبحت الأساطير لهذا السبب ميراثاً عظيماً ورثه عالمنا عن الماضي ، وأخذ يتأمله فيدرسه، ويستفيد منه في مواجهة تجاربه الجديدة ، كما أخذ « يترجمه » إلى لغة العصر ويعطيه دلالات جديدة تتناسب مع وقائع حياتنا ... حسبنا أن نشير كنموذج ، إلى مسرحيتين هامتين : أولاهما هي « الذباب » لسارتر ، والثانية هي « بجماليون » لبرنارد شو ... كلا المسرحيتين معتمد على أسطورة يونانية قديمة ، ولكن الكاتبين الكبيرين يواجهان أسطورة « أورست » وأسطورة « بجماليون » مواجهة واعية تجعل من المادة القديمة صورة حية لبعض الأفكار الحديثة والمشاعر التي يحس بها الإنسان العصري في تجاربه المختلفة . ولقد كانت مسرحية « الذباب » لسارتر إحدى شواهد المقاومة الفرنسية أيام أن كان للفرنسيين قضية عادلة مع المستعمر الألماني ، ولا زالت هذه المسرحية المعتمدة على الأسطورة القديمة حافزاً من حوافز المقاومة الإنسانية في أي قضية عادلة تعترضها قوى ظالمة متعسفة . وكذلك كانت مسرحية « بجماليون » التي كتبها شو دفاعاً إنسانياً عميقاً عن أكثر من قضية ، حسبنا أن نشير من بينها إلى قضية واحدة هي امكانية تطور الخامة الإنسانية إلى مستويات راقية ناضجة لو تغيرت ظروفها السيئة إلى ظروف مساعدة على هذا التطور كما حدث بالنسبة لبطلة « بجماليون » ... فقد تطورت من فتاة وضيعة تبيع الزهور على الأرصفة إلى فتاة راقية ناضجة تستطيع أن تتفوق على الأميرات وعلى غيرهن من فتيات الطبقات « غير الوضيعة » — إن سارتر وشو لم ينقلا الأسطورة نقلا حرفياً من عالمنا القديم إلى المسرح المعاصر ، ولم يعدلا فيها تعديلا شكلياً ، بل أضافا اليها « فهماً » جديداً ، كان له أثره في تغيير الأساس الذي اعتمدت عليه الأسطورة بحيث يتلاءم مع فهم الإنسان المعاصر للأشياء .

ولم يكن الإنسان الشرقي في تاريخه القديم مقفر الوجدان والذهن ، فقد ترك تراثاً عظيماً هو عصارة جهد وكفاح ومعاناة حقيقية لحياة لها وقائعها القاسية وفيها ألوان من البهجة والطموح والشقاء ... وكان من بين هذا التراث الذي وصلنا أساطير « ألف ليلة وليلة » ، تلك الأساطير التي عاش عليها الوجدان الشرقي كثيراً ، واستمد منها بعض حوافزه ومثله في العمل والسلوك والعلاقات الإنسانية المختلفة ، وأدت هذه الأساطير دورها في القديم ، وهو دور عميق له جوانبه المعقدة المختلفة والتي تحتاج إلى الدراسة والتفسير على ضوء النصوص والوقائع الإجتماعية .

ادت ألف ليلة دورها قديماً ، ونحن اليوم نعيش في عالم جديد ، عالم مغاير لذلك الذي ولدت فيه ألف ليلة ... فإذا أردنا اليوم أن نقدم صياغة جديدة لألف ليلة ، فلا بد من بذل جهد واع مستنير « لترجمة » هذا العمل العظيم إلى لغة العصر الذي نعيش فيه حتى يمكن أن نقول إننا قد فهمنا هذا العمل فهماً صحيحاً ، وفهمنا العالم الذي نعيش فيه فهماً صحيحاً أيضاً .

وأنا أكتب هذه الكلمة والحلقات الأخيرة من ألف ليلة التي تذيعها الإذاعة المصرية على وشك الانتهاء ، وقد كانت هذه الحلقات اليومية الطويلة التي زادت عن المائة بكثير تذاع للمرة الثانية بعد أن اذيعت في العام الماضي للمرة الأولى .

النشاط الثقافي في الوطن العربي

والملاحظ أن هذه الحلقات الطويلة لم تؤد نتيجة حسنة يمكن أن يؤديها عمل فني ناضج مذاع على الجماهير عن طريق إذاعة واسعة الإنتشار . إن الأساطير القديمة في هذه الحلقات الجديدة أساطير مشلولة ، لاتحمل دلالة جديدة ولا تمهد في نفس المستمع الى فهم خاص جديد للعالم ، ولا تساهم في تأكيد أفكار عميقة أو مشاعر مستنيرة في حياته ... انها صياغة عاجزة للأساطير القديمة تصور المشرفون على كتابتها وإخراجها أن الحرص على مافي بعض نصوصها من سجع والاعتماد على ذلك الصوت الأنثوي المائع الذي يقوم بدور رواية تلك الحلقات ... تصوروا أن هذا وغيره من قيم شكلية سوف يوفر عليهم مسئولية الجهد والاخلاص في تقديم هذه الحلقات . والواقع أن هذا الموقف خاطىء فالقيم الشكلية على وضوح التأثير الضار في بعضها ، لن تؤدي أي دور في أن تحمل ألف ليلة بأساطيرها القديمة تأكيداً لمعان جديدة ومثاليات جديدة فيما يتعلق بفهم الحياة والعلاقات الإنسانية ، فقد كان من اللازم تكوين فلسفة لهذا العمل ، فلسفة داخلية لا تتصل بالسجع ومهارة الإخراج في الفن الإذاعي والإلقاء ... فلسفة تشبه تلك التي تنبض بالحوافز العميقة المتوهجة النبيلة في « الذباب » لسارتر و « بجماليون » لبرنارد شو .

لسوف تنتهي هذه الحلقات كما انتهت في المرة السابقة دون أن تخلف وراءها كسباً معنوياً للإنسان ، لن يذكر الناس أن هذه الحلقات كانت تفسر لهم شيئاً ، أو تدعوهم إلى الإيمان بشيء ... شيء يستحق البقاء ، شيء يثير في النفس والحياة معاني عاليه : معنى المسؤلية ، معنى التضامن ، معنى الحب ...

كتابات الدكتور مندور

بدأت جريدة « الشعب » التي صدرت في القاهرة منذ فترة قريبة ، تنشر مقالات اسبوعية للدكتور محمد مندور ، وبهذه المقالات الأسبوعية المنتظمة يعود الأديب المصري الكبير إلى الاتصال بالحياة الفكرية على نطاق واسع ، فمنذ فترة طويلة ونشاطه مقصور على مجالات دراسية خاصة كالجامعة ومعهد الدراسات العربية . ويؤدي الدكتور مندور في هذه المجالات خدمات طيبة للحركة الفكرية في البلاد العربية و قد أصدر في الفترة الأخيرة سبع دراسات عن الادب المصري والادب العربي ، طبعها معهد الدراسات العربية ، و تتميز كلها بالعمق والإنصاف والنظرة المخلصة المرنة إلى الأدب والتاريخ . ولكن هذا الأديب الكبير الذي نمت أفكاره مع ممارسته الحية للتجارب التي كانت مصر والبلاد العربية تمر بها ، ومع مشاركته البعيدة في المعارك الوطنية والفكرية التي خاضتها شعوب تلك البلاد ، لم يكن من المستطاع ، لهذا الكاتب ، أن ينعزل عن اتصاله الدائم بالقراء في مجالات واسعة وعلى نطاق رحب . ومن هنا كانت عودته إلى الكتابة المنتظمة ضرورة تحتمها حاجة القارئ الذي رافق الدكتور مندور في رحلاته الموفقة الخصبة في تاريخنا الوطني والفكري ، وتحتمها طبيعة الكاتب المخلص المستنير الذي اختار – مسئولا – أن يرافق تجارب شعبه المصري العربي في جرأة وقدرة هادفاً من وراء ذلك إلى المساهمة في تحقيق القيم الجديدة في حضارتنا المنشودة ، ... ومن هنا كانت عودة الكاتب الكبير إلى الارتباط المنتظم بالقارئ عن طريق الصحافة اليومية فرصة صحيحة لطرح كثير من القيم والأفكار أمام مناهج جديدة وطرق جديدة في التناول والنظر ، تلك المناهج والطرق التي يساهم فيها الدكتور مندور بقسط وافر ، فمن أصالة ثقافته ورسوخ شخصيته ووضوح نظراته النقدية للأدب والحياة والتاريخ ... من هذا كله تستمد كتاباته التي خرجت بها جريدة « الشعب » إلى القراء قيمة خاصة ، وقدرة على التأثير ، ومساهمة مجدية نافعة في توضيح قيم كثيرة وخطوط متشابكة تحتاج إلى الأقلام الناضجة الأصيلة المخلصة ، حتى تشق ثقافتنا طريقها الفعال المؤثر في حياتنا .

وليس هنا مجال التحليل التفصيلي لكتابات الدكتور مندور وغيره من كتابنا المخلصين الذين بدأوا يرتبطون بالحركة الفكرية ارتباطاً وثيقاً منظماً ، ولكنها ظاهرة أحببت أن أشير اليها ، فكثيراً ما اضطر الدكتور مندور وغيره من كتابنا الأحرار المخلصين الى أن ينعزلوا عن الحركة الثقافية في مجالها الواسع الشامل ، واضطروا إلى الاعتماد على الكتاب والمحاضرات وغيرها لنشر أفكارهم ، وهي وسائل مهمة دون شك ولها دورها الخطير ، غير أنها لاتكفي وحدها لتحقيق رسالة الفكر في الحياة طالما أن الصحافة والإذاعة يمثلان أخطر وسيلتين للتأثير على الرأي الفكري العام ، مما يتحتم معه أن يكون للكاتب اتصاله بالجمهور عن طريق هذه الوسائل ، حتى لا تنحرف عن أداء رسالتها بواسطة الذين لا يدركون للفكر أكثر من أهداف شخصية قريبة .

العراق

الحركة المسرحية

اذا كان الفن المسرحي قد نشأ نشأة دينية في اكثر انحاء العالم ، فان المسرح عند العرب لم يترعرع في احضان الكنيسة والطقوس الدينية على رأي اكثر الباحثين بل تكون عن طريق التأثر والأقتباس من الغرب . بيد ان الشعائر الدينية في العراق قد شهدت نوعاً من التمثيل ما زال قائماً حتى الآن متمثلا فيما يقدم ايام عاشوراء من مشاهد تمثيلية – تسمى بالتشابيه – تمثل بعض الوقائع التاريخية كفاجعة الحسين بن علي وما شابه ، يستعمل فيها اكثر العناصر المسرحية كالرواية والأخراج والمكياج والملابس . ومع هذا فان هذه الطقوس لم تكن حافزاً يدفع الناس لخلق نوع من الدراما وعرضها على خشبة المسرح .

لم يدخل المسرح العراق الا عن طريق مصر ، وذلك عندما زارته بعض الفرق التمثيلية المصرية بعد الحرب العالمية الاولى كفرقة كشكش بك والبدوي وكذلك عن طريق الفرق التركية كفرقة (ارطغرل بيك) فعن لبعض الشباب أن يقلدوا تلك الفرق فكونوا لهم جمعيات تمثيلية في مدارسهم . واشترك فيها من هم الآن في اعلى المناصب . فقضوا بذلك على فكرة الأراكوز التي انتشرت منذ العهد العثماني ، وغرسوا في الناس حب التمثيل . ولما لمست الأحزاب الوطنية التي كانت قائمة آنذاك مبلغ تأثير المسرح في النفوس وما فيه من فوائد توجيهية تبنت تلك الفرق وشجعتها . وكان لقدوم فرقة جورج ابيض عام ١٩٣٦ الأثر الفعال في تغيير معالم المسرح العراقي الابتدائي واتجاه نظر الجمهور اليه ، وفي مطلع عام ١٩٢٧ انتقل العمل المسرحي الى مرحلة الأحتراف عندما تمكن الاستاذ حقي الشبلي من ان يكون فرقة التمثيل الوطنية التي علا شأنها وكسبت جمهورها بعد عودته من سفرته الى مصر مع السيدة فاطمة رشدي ، التي كانت قد احيت عدة حفلات في العراق ، وبعد اشتغاله مع جماعة عزيز عيد هناك .

النشاط الثقافي في الوطن العربي

فهو قد دمج فرقتي الوطنية والعصرية المنشطرتين من فرقته الاصلية وكون منهما فرقة (حقي الشبلي) وشاركه فيها الممثل الراحل بشارة واكيم فطافوا بها اكثر المدن العراقية ولاقوا تشجيعاً واقبالا في كل مكان . ذلك ان الناس رأوا في المسرح بدعة جديدة ومتعة بريئة . ولكن نوعاً من التصرفات من بعض العاملين في هذا الحقل أساء اليه والى الحياة الإجتماعية مما ادى الى نفرة المتفرج وابتعاده عن المسرح فترة طويلة من الزمن . وفي اواسط عام ١٩٣٥ اوفد الأستاذ الشبلي الى فرنسا – لدراسة فن التمثيل نظراً لمقدرته التي نال عليها اعجاب الجمهور والسلطة معاً . فتفرق الملتفون حوله وكونوا فرقاً عديدة منها (الفرقة العربية) التي ترأسها يحي فائق و (جمعية انصار التمثيل) برئاسة عبد الله العزاوي وفرقة (بابل) بقيادة محمود شوكت وغيرها . وأستطاعت هذه الفرق ان تعمل في اكثر المدن بما تقدمه من انتاجات واطئة تعتمد على المشاهد الكوميدية التي تتخللها فترات من الغناء والرقص تقدم على مسارح تقام خصيصاً في المقاهي. واستمر العمل المسرحي على هذا المنوال الى ان عاد الشبلي سنة ١٩٣٩ واستطاع في عام ١٩٤٠ ان يضع اسساً جديدة للفن المسرحي ، وان يؤسس فرعاً لدراسة هذا الفن في معهد الفنون الجميلة مهمته امداد المسرح العراقي بعناصر كفوءٍ تبني بسواعدها وثقافتها كيان مسرح أصيل . ومرت السنون وهذا الفرع يلقي الى معترك الحياة مجموعة من الممثلين الناشئين المسلحين بمعلومات وتجارب كافية كانت تظهر قليلا في الحفلات السنوية التي يقيمها الفرع ويقدم فيها فصولا من الادب المسرحي العالمي والمحلي . ومع هذا فقد كان الفرع بعيداً عن الجمهور ومنزوياً في حدود ضيقة كان المعول على المتخرجين منه ان يوسعوا نطاقها وان يوصلوا رسالته الى الناس . ولكن شيئاً من هذا لم يحدث ، اذ ترك غالبيتهم ميدان التمثيل غير آسفين واتجهوا اتجاهات بعيدة كل البعد عنه وذلك لضعف ايمانهم بقيمة المسرح واهدافه وللظروف الأجتماعية والسياسية السائدة ، وللظروف الأقتصادية الخانقة التي احاطت بهم . وبالوقت نفسه فقد هربت من الميدان اكثر الفرق التي تكونت خلال هذه الفترة لنفس الأسباب الآنفة الذكر ولعدم توفر الامكانيات الثقافية والفنية والمادية التي توهلها للاستمرار في عملها ولعدم تحسسها برغبات الجمهور الحقيقية . وظل فرع التمثيل في المعهد يقدم حفلاته السنوية وظلت بعض الفرق تقدم انتاجاتها في اوقات متباعدة .

وفي سنة ١٩٤٥ برزت الى الوجود فكرة تكوين (فرقة النجوم) الفرقة التي ارادالشبلي ان يضم اليها تلامذته والتي لم تتحقق حتى اليوم في حين ان فريقاً من احسن متخرجي ذلك الفرع قد كون (الفرقة الشعبية للتمثيل) التي ما لبثت أن انهزمت من المعركة بعد انتاج واحد قدمت فيه مسرحية (شهداء الوطن) لفكتوريان ساردو . وما عدا النشاط التمثيلي في الكليات والمدارس الذي نظم برامجه الأستاذ الشبلي ، فقد شهدت الحركة المسرحية في العراق ركوداً واضحاً ، الى ان حدث ذلك التحول الجديد في اتجاه المسرح العراقي عام ١٩٥١ عندما قدم طلبة فرع التمثيل مسرحيات لفتت انظار الناس الى حقيقة مهمة هي ان في المسرح حياة قريبة الى حياة الغالبية ، فتنبه جماعة من المثقفين وقسم من طلبة الفرع واساتذته الى وجوب بعث نهضة مسرحية على اسس قويمة ، فأسسوا (فرقة المسرح الحديث) برئاسة الأستاذ ابراهيم جلال . ودأبت هذه الفرقة على التقرب من الجمهور وتحبيب المسرح الى النفوس بما قدمت من انتاجات تميزت بالمواضيع الشعبية الحساسة التي لقيت تجاوباً لدى الأكثرية مما حفز عناصر اخرى على احياء الفرقة الشعبية ودفعها الى العمل الناجح . وعملت هاتان الفرقتان بكل ما استطاعتا من السبل لتثبيت كيان المسرح في العراق برغم المصائب التي عملت على جعل انتاجها متقطعاً وغير متطور . وقد استطاعت فرقة المسرح الحديث عام ١٩٥٢ وبعد ان انتمى اليها الاستاذ جاسم العبودي ان تقدم انتاجاً مسرحياً من مستوى عال شهدت لروعته جميع الأوساط ، ولو استطاعت هذه الفرقة الأستمرار في عملها لأصبحت اليوم من اقوى فرق العالم العربي .

ونظراً لعدم تركز المسرح واستمرار حركته فقد ظل مجال التأليف للمسرح ضيقاً ولم يدخله سوى عدد قليل من الأدباء العراقيين الذين لم يجدوا حافزاً قوياً يدفعهم لتحسين انتاجهم الروائي ، فكانت أكثر الروايات التي تمثل على المسارح العراقية تتسم بطابع الارتجال من ناحية التأليف ويبرز فيها جانب التكلف والمبالغة والمعالجات الخاطئة . واول من برز في هذا الحقل الأديبان نديم اطرقجي وسليم بطي اللذان الفا مسرحيات عالجا فيها بعض المشاكل العراقية من جانبها السطحي وبأسلوب غير ناضج ، ولكنها كانت تجارب ناجحة في ذلك الوقت . ومن اشهر روايات الأول «الثورة العربية» و «دموع البائسة» بينما اشتهر الثاني في «المساكين» «الدم» «طعنة في القلب» «وجاء من بعدها الأديب المعروف صفاء مصطفى الذي امتازت رواياته بأسلوبها المتطور واجوائها العراقية الصميمة ، وهو يعتبر من اكثر المهتمين بالأدب المسرحي اطلاعاً وخبرة ومن اشهر رواياته المطبوعة (المروءة المقنعة – كاترين) ومن غير المطبوعة « طالب من الجنوب – عنترة للايجار – البيت والوطن » وعرف المسرح العراقي ايضاً شاباً أولع بأدب والتمثيل الشعبي هو المرحوم شهاب القصب الذي وافته المنية في شرخ الشباب تاركاً وراءه عدداً من الروايات المكتوبة باللغة الدارجة صور فيها صوراً حياتيه للمجتمعات البسيطة المغلوبة على امرها باسلوب كوميدي ساخر تنقصه بعض عناصر تكنيك المسرحية كرواية « بين الجنة ومرة العم » و « نص عقل » و « عودة المهذب » ثم تمكن من اضافة بعض تلك العناصر بعد ذلك بالأتفاق مع الأستاذ يوسف العاني فبدت بحلة اجمل وأجود في رواية « المعذبون في البيت » التي عالجا فيها اثر البطالة في الاخلاق و « جبر خاطر قيس » وهي صورة كوميدية مقتبسة عن مجنون ليلى لشوقي و « عودة المهذب » التي عكسا فيها اثر التنكر للتقاليد وواقع العائلة المهوزة و « ماكو شغل » وهي عرض مبتكر لظاهرة التسكع . وقد مثلت جميعها على المسارح العراقية فلاقت نجاحاً مطرداً . وقد استطاع الاستاذ العاني ان يؤلف مسرحيات شعبية طبع قسم منها في المطابع العراقية مثل « رأس الشليله وتأمر بيك وحرمل وحبت سوده » وما يزال قسم آخر مكتوباً فحسب مثل « لو بالسراجين لو بالظلمه – ست دراهم – اكبادنا – فلوس الدوه – آني املك يا شاكر » وقدم البعض منها ممثلا الى الجمهور فترك اثراً لا ينسى في نفوسهم لأنه تناول اقرب المواضيع اليهم واكثر المشاكل شعبية ولما امتاز به من عمق في التحليل وواقعية في المعالجة .

واليوم تدفع الرغبة العنيفة غالبية طلبة فرع التمثيل والمتخرجين منهم للأشتراك في عمل مسرحي دائم على نطاق واسع . وفي منتصف العام الماضي بدت بوادر جولة جديدة في جقل المسرح ؛ فقد استطاع العبودي ان يكون « فرقة المسرح الحر » كما ان فرقتي المسرح الحديث والشعبية اخذتا تعدان العدة لموسم مسرحي حافل ، في حين ان الأستاذ عبد الجبار توفيق سعى لتكوين فرقة اخرى سماها « فرقة

سومر » وما عدا الفرقة الشعبية التي بانت نتائج استعداداتها بحفلة تمثيلية ، فان نشاطاً مسرحياً آخر لم يظهر للناس بعد ، لأن تلك الفرق تعاني الأمرين من المتاعب والعراقيل . ولولاذلكلعمت العراق نهضة مسرحية شاملة.فما هي هذه الاثقال وتلك العقبات ؟ إنها وفقاً لتقسيم الاستاذ العاني سكرتير فرقة المسرح الحديث سابقاً تتفرع الى اربع ركائز يستعين عليها مسرحنا في نهوضه .فالممول هو اول هذه الركائز حيث ان الفرق التي ذكرناها لا تعتمد في انتاجها الا على ما يمدها به اعضاؤها واصدقاؤها من المال الضئيل الذي لا يكفي ابداً لأظهار انتاجضخم او متكامل ويأتي المسرح في المقام الثاني ، حيث لايوجد غير مسرح واحد يصلح لأقامة الحفلات التمثيلية وهو مسرح قاعة الملك فيصل الثاني التابع لأمانة العاصمة ، وبالرغم من افتقاره الى الوسائل المسرحية الحديثة فان سبيل الوصول الى استئجاره شاق ومملوء بالشكليات المعقدة،ويكلف مبالغ لاتتناسب مع الامكانيات المالية للفرق . وبالرغم من ان بغداد كان من الممكن أن تضبح محطة للفرق العالمية – على حد قول ممثلة انكليزية زارت بغداد أخيراً– فان الحكومة لم تسع لبناء مسرح مناسب . والمسرحية هي العقبة الثالثة التي تقف امام مسرحنا في تقدمه ، اذ علاوة على ندرة الروايات العربية الجيدة والعراقية الصميمة ، فان الحدود التي تضعها لجنة مراقبة التمثيليات تضيق مجال العمل بل وتعطله احياناً . اما الركيزة الرابعة فهي نظرة الجمهور العراقي والعاملين في الحقل المسرحي وانطباعاته عن خفايا عملهم تلك الانطباعات التي ولدتهاالعادات الاجتماعية والسلوك الشائن الذي سلكه البعض ممن اشتغل فيه فيما مضى ، ويدخل ضمن هذه الركيزة افتقار المسرح العراقي الى العنصر النسائي وتخوفه من الظهور على الخشبة ، الأمر الذي يكون مشكلة معقدة اعيا حلها المهتمين بالأمر . وفي مقابل هذه العقبات يقف عدد كبير من المتلهفين للعمل في المسرح ومن ذوي الرغبات الصادقة في جعل المسرح مدرسة للشعب وأبقاء الرابطة بينهماوثيقة وهم يدركون بأن المسرح ليس وسيلة لسلب الناس أموالهم على حساب الفن ولا وسيلة للتسلية فحسب بل انه وسيلة توجيهية ترفع من اذواقالناس وتهذبهم وهو ايضاً وسيلة لتهذيب الجماعة المشتغلين فيه لأنه عمل جماعي يتطلب تضحية وايثاراً – وتعاوناً وانسجاماً وحرية وانتظاماً .

بغداد — **سامي عبد الحميد نوري**

دبلومفي فرع التمثيل

العلامة بطرس البستاني

يؤرخ العرب والمسلمين خلال حروبهم في :

١ – معارك العرب في الشرق والغرب

٢ – معارك العرب في الاندلس

دار المكشوف – بيروت

صدر اليوم

الشعر في بغداد

حتى نهاية القرن الثالث الهجري

تأليف

الدكتور احمد عبد الستار الجواري

تصوير حي لمراحل حياة الشعر في بغداد منذ نشوئها حتى نهاية القرن الثالث الهجري . دراسة علمية رفيعة للشعر كمظهر من مظاهر المجتمع يتفاعل معه وينفعل به .

تحليل دقيق معلل للتحولات والتطورات والتجديدات التي طرأت على الشعر في العصر العباسي . مع احكام فذة تتناول شوامخ الشعر في تلك الفترة .

الدراسة الشعرية التاريخية الاولى في هذا الموضوع .

اطلبه اليوم من

دار الكشاف ــ بيروت

ومن سائر المكتبات في العالم العربي

صدر حديثاً

هكذا تكلم نهرو

مجموعة مختارة من كتابات واقوال رائد الحرية والسلام

جواهر لال نهرو

قدم لها

ميخائيل نعيمه

ترجمة وعرض وتعليق

مروان الجابري

« هوذا صوت يمس شغاف الضمير الانساني »

من كتب المؤسسة الاهلية للطباعة والنشر

ص. ب. ٣٥١٥ – بيروت – لبنان